اسم المصدر: المدينة المنورة / الأربعاء

التاريـــخ: 04-11-2009 رقم العـدد: 16996 رقم الصفحة: 4 مسلسـل: 19 رقم القصاصة: 1

فيما أنتقدهم الشيخ السديس في خطبة الجمع من منبر الحرم الشريف

خفافيش الظلام في المشهد الاخير

فهد زيدان - جدة عبدالله خميس الحربي - مكة المكرمة - محمد البيضاني - الباحة

لا تجد ظاهرة التصنيف وتقسيم الناس إلى فئات مسرحها إلاّ عند ذوي «العقول التنميطية»، بحسب ما يشير بذلك علماء النفس والتربية، فأصحاب هذه العقول يمتلكون جرأة متجاوزة تسهّل عليهم وضع الناس في «خانات» محددة وفق نظرتهم الاستعلائية، وتفكيرهم الفوقي، واعتقادهم «الدوغمائي»، من مجرد كلمة، أو مقالة، أو حتّى من «الشكل والمظهر» فقط، وإنهم في تجاوزهم هذا إن لم يجدوا «خانة» لتصنيف أحدهم فإنهم يلوون ما يقوله ليًا ليتفق مع خانة محفوظة في دهاليزهم فنجد مصطلحات مثل علماني وتغريبي وليبرالي واصولي.. وخطورة مثل هذا السلوك نبّه إليه خادم الحرمين الشريفين، ودعا أصحابه للكف عمّا يقومون به، كما نبّه إليه كثير من المفكرين والكُتّاب، ولعل في كلمات إمام الحرم المكي الدكتور عبدالرحمن السديس في خطبة الجمعة الماضية بيانًا لخطر هذه الظاهرة، حيث أشار إلى أن ظاهرة تصنيف الناس والتشكيك بالآخرين يحملها ضعيفو الإيمان، مؤكدًا أنهم غمسوا ألسنتهم في ركام من الأثام، ثم بسطوها بإصدار الأحكام، وإلصاق التهم، والحط من الأقدار في جرأة عجيبة، وفي قاموس لا ينتهي من التصنيفات.. منبّهًا إلى خطورة ما يجرى من خلال التصنيف الديني واللاديني عبر المجالس والمنتديات وشبكات المعلومات، وما يستعمل في ذلك من مفردات، وكل هذا السيل الجارف من التصنيفات الفكرية والدعوية والسلوكية.. مبينًا أن من أبرز الآثار السلبية لهذه الظاهرة تتمثل في شغلهم عن كبرى قضاياها وما آل إليه أمر مقدساتها حين توارت في بحار الفتن، وتاهت في سواد المحن راياتها، مستشهدًا بما يحصل بالمسجد الأقصى هذه الأيام من محنة كبرى، وممّا يتطلّب من المجتمعات الدولية، والهيئات العالمية، والأمة الإسلامية تحمّل مسؤولياتها الشخصية والتاريخية والإنسانية في الدفاع عن الأقصى، وصد محاولات تهويده وتدنيسه..

وبمثل ما فتحت كلمات الدكتور السديس أفقًا أرحب لكشف هذه الظاهرة، مكتسبة ألقها من عمقها، وشرف المكان الذي أُلقيت فيه.. فما تزال أقلام الكُتّاب والأدباء والمفكرين، وأصواتهم تنادي بضرورة النظر إلى هذه الظاهرة، وسرعة علاجها حتّى لا يمتد أثرها أكثر من ذلك، بحيث لا يكون في مقدور أحد بعد ذلك السيطرة عليها.. ويقرأ ذلك في سياق المشاركين في هذا التحقيق..

اسم المصدر: المدينة المنورة / الأربعاء

التاريـــخ: 04-11-2009 رقم العـدد: 16996 رقم الصفحة: 4 مسلسـل: 19 رقم القصاصة: 2

المثقفون: سلوك الخفافيش طريق الفتنة

فالكاتب عبدالله فراج الشريف يشير إلى تناوله لهذا الموضوع في أكثر من مناسبة بقوله: تحدثتُ كثيرًا عن هذا الموضوع، وهو أن مثل هذه التصنيفات في غالبها تحدث من إنسان لا يملك الدليل على أن مقابله يدخل تحت هذا المسمّى، وأيضًا هو لا يفقه معنى هذا المصطلح، فيقول علماني، وهو لا يفقه معنى العلمانية، ويقول ليبرالي، وهو أيضًا لا يعرف معنى الليبرالية؛ وبالتالي هو بظلمه بهذا التصنيف لا يكتفي بذلك؛ بل يعطي لهذه المطصلحات معاني تسيء إلى مَن يصنّفه، بمعنى أن يجعله مثلاً خارجًا عن الدِّين، أو أخلاقه سيئة، أو أنه يريد الإضرار بالمجتمع، أو أنه يريد تغيير الأحكام الشرعية، وهذا بأكمله غير صحيح، وبالتالي هو ممّا نهى الله عنه؛ لأنه تنابز بالألقاب الذي لا فائدة منه، ولا يعود على المجتمع بفائدة، وقد نهى خادم الحرمين الشريفين عن مثل هذه التصنيفات؛ لأنّها لا تعود على المجتمع إلاّ بالشر.

ويختم الشريف قائلاً: ، وعندما يأتي اليوم التنابز ينتقل من كونه ما بين مَن يسمّونهم الإسلاميين وغيرهم؛ أصبح الآن داخل الإسلاميين أنفسهم يتنابزون بالألقاب، وكلٌ يصنّف الآخر بعدة تصنيفات، وصار هذا فرقة بين أفراد المجتمع، والفرقة دائمًا تقود إلى فتنة؛ فالأولى أن نمتنع عن هذا التصنيف حتى لا يقودنا إلى فتنة كبيرة.

ويؤكد الدكتور عبدالمحسن القحطاني رئيس مجلس إدارة النادي الأدبي الثقافي بجدة أنه دائمًا ما يجفل من أي تصنيف، مشيرًا إلى إنه إذا وقعت في صنف معين، فإنك ستأخذ سلبياته وإيجابياته معًا، فعليك أن تكون انتقائيًا مختارًا؛ لأن المعرفة حق للجميع، والحكمة ضالة المؤمن.. ويضيف القحطاني: إذا التويت تحت مظلة من أي توجّه، سواء كانت نقدية أو أدبية، ورفضت الآخر فستدور حول نفسك، ونحن نشاهد ونسمع كثيرًا من المثقفين والمفكرين ولا نصنّفهم، وإذا بنا نرى مَن يأتي ويقول: هذا علماني، وهذا ليبرالي، وأنت لم تسمع بذلك، فالتصنيف آفة كبيرة على المجتمع؛ فنحن مجتمع واحد، ينطوي تحت أهداف واحدة، وتحت راية واحدة، واللغة واحدة، والدِّين واحد، والتفكير واحد.. فكيف حدث هذا (التصنيف)؟! فهذه التصنيفات لم تأت من عند المثقف، أو الأديب والمفكر، وإن أتت هذه التصنيفات من الخارج.

أمر طبيعي

ويرى الكاتب عبدالله ثابت أن مثل هذه الاتهامات التي تنطوي تحت التصنيفات هي جزء من حركة التحوّل الاجتماعي الذي نحياه في بلد كالسعودية، وهذا التحوّل يقتضي مثل هذه الاتهامات أعتقد أنه شيء طبيعي..

وبرغم وصف ثابت للظاهرة بالأمر الطبيعي إلاّ أنه يطالب بتدخل الدولة لوقفه، في ثنايا قوله: ومن المهم جدًا أن تتدخل السلطة تدخلاً حازمًا وقويًا، وأن تحاسب بإصدار القوانين والأنظمة، ويتم محاسبة كل من يطعن في عقائد الناس ونواياهم، ما لم يكن هناك اتهام صريح وواضح، وعليه أدلته؛ فإن على السلطة أن تقوم بواجبها تجاه حماية الناس من بعضهم البعض عبر إقامة محكمة خاصة بقضايا الرأي والإعلام، وبأي طريقة كانت، لا بد أن يكون هناك نظام أقوى وصارم في ردع كل الذين يتخذون من الاتهام والتخوين والتكفير ذريعة ووسيلة لإسقاط الخصوم، وللأسف عندما يتوقف العقل تبدأ الشتائم، ويبدأ العنف؛ لذا فنحن بحاجة إلى جدل الأفكار، وليس إلى جدل الشتائم والاتهامات.

يرقات المستنقعات

ويرى الدكتور صالح بن سعيد الزهراني عميد كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى أن التقسيمات المذهبية أفرزها انغلاق المجتمع وعدم إيمانه بالتعددية والاختلاف. ممّا جعل أصحاب هذا الفكر يرون أنه لابد أن تتوحد الأمة تحت رأي واحد يلغي ما سواه، وهذا يخالف السنة الكونية، فالله عز وجل يقول (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة)، مضيفًا بقوله: فالاختلاف سنة كونية لأن الحياة قائمة على الاختلاف والتعدد والتباين، وإذا أدركنا ان الاختلاف سنة كونية فقد حققنا نصف الحل الذي يجب أن نواجه به هذا الفكر، وإذا أدركنا أيضًا أننا مجتمع منغلق وجب أن نشيع ثقافة التعددية، وقبول الرأي الآخر؛ فالإمام الشافعي يقول (كلامي صواب يحتمل الخطأ، وكلام غيري خطأ يحتمل الصواب)، فمن جاء بالحق قبلناه، وهذا ما كان عليه السلف.. فعمر بن الخطاب يقول (لو أن للمسألة سبعين رأيًا أعرفه لقلت لعلّها

اسم المصدر: المدينة المنورة / الأربعاء
التاريـــخ: 04-11-2009 رقم العـدد: 16996 رقم الصفحة: 4 مسلسـل: 19 رقم القصاصة: 3

أبو السمح: التصنيفات طبيعية ولا أرى غضاضة فيها

الشريف: المصنّفون يسيئون للمصطلحات ويفتحون بابًا كبيرًا للفتنة

د. الزهراني: أفرزها انغلاق المجتمع وعدم إيمانه بالتعددية والاختلاف

د. الحارثي: مواجهتها ضرورية ليظل الحِراك المذهبي والمعرفي بنَاءً

فيما لا أعرفه).

ويمضي الزهراني في استشهاداته قائلاً: ومن عظمة هذا الدِّين تحريم أعراض المسلمين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن لك -يعني الكعبة- عند الله لحرمة، وإن حرمة المسلم عند الله أشد منك)، لذا يجب أن نتقبل الرأي الآخر؛ إذا كان على صواب أفدنا منه، وإذا كان خطأ نهدي له صوابًا. أمّا ثقافة الاستعداء والنفي والإقصاء فيجب مقاومتها، ومقاومة هذه العقلية الحدية بكل ما نملك من قوة بقوة القرار السياسي والثقافي والأمني، لأن السماح له بالانتشار ينبئ عن تكاثره لأن يرقات الملاريا لا تعيش إلاّ في المستنقعات الآسنة، وإذا لم تجد بيئة خصبة تعيش فيها فسدت.

حراك مذهبي

ويؤكد الدكتور محمد بن مريسي الحارثي أستاذ البلاغة والنقد بجامعة أم القرى أن الطوائف المذهبية أمر موجود في كل المجتمعات، مستدركًا بقوله: ولكن مع وجوده فإنه لابد أن يحترم الرأي الآخر، فإذا كانت الطوائف في دين واحد، فهي الأقدر على التعايش، وإعطاء المذاهب حقها، وعدم مصادرتها. والذين يضيقون بهذه المذهبية التي قد لا تكون موجودة، أوليس بينها تعارض إلاّ عند مَن يتحسس ذلك ويستعدي الآخر من منطلق هذا التحسس سواء في الاختلافات العقدية أو الفقهية أو الفكرية، الأمر الذي يجب أن يواجه هذا الفكر لقبول التعددية لتظل محل حراك مذهبي ومعرفي بنّاء.

مشاركة الدكتور عبدالله سرحان القرني الأستاذ بكلية اللغة

اسم المصدر: المدينة المنورة / الأربعاء

التاريـــخ: 04-11-2009 رقم العـدد: 16996 رقم الصفحة: 4 مسلسـل: 19 رقم القصاصة: 4

العربية بجامعة أم القرى تجلّت في قوله: لا شك أن الاختلاف المذهبي والفكري من أخطر ما يصادر عقل متبنيه؛ فضلاً عن مصادرة الآخر جملةً وتفصيلاً، وهذا يؤدي إلى نتائج خطيرة لا تخفى على ذي لب، وقد أخذ هذا المفهوم في الذوبان بعد تعدد وسائل الاتصالات الحديثة، والاطّلاع على ما عند الآخرين، فالحياة قائمة على الاختلاف؛ وهو سنة الله في الكون، وهذه مسلمة أولى، والمسلمة الثانية أن النصوص الشرعية التي ليست قطعية الدلالة تبقى نصوصًا مفتوحة تقبل القراءة والقراءة الأخرى، وعلى هذا بني الاختلاف، وتعددت الآراء، ولم يكن للرأي الواحد الحصانة دون غيره، وظل السلف يتعايشون مختلفين، ولم يكن هذا الاختلاف مبعثًا لإفساد الود والنّيل من الآخر واعتبار الذات المعصومة. وما أحسن ما قيل (ما عندي صواب يحتمل الخطأ، وما عند غيري خطأ يحتمل الصواب).

تضافر الجهود

ويرمي حمزة فودة عضو مجلس إدارة النادي الثقافي الأدبي بمكة المكرمة بالملائمة على المجتمع والأسرة في ذلك، إذ يقول: إن المجتمع المنغلق، والأسرة في تربيتها مسؤولان عن ظهور ثقافة الرأي الواحد، وإقصاء الآخر، وإذا أردنا أن نواجه هذا الفكر لابد من تضافر جهود المجتمع بدءًا بالأسرة في محيط تربيتها، والمعلّم في مدرسته، والأستاذ في جامعته، ولا ننسى دور المؤسسات الأدبية والثقافية لإشاعة ثقافة التعددية، وقبول الآخر، والإفادة ممّا لديه.

الخروج من الصمت

ويستند الدكتور محمد آل زلفة عضو مجلس الشورى السابق إلى ما جاء في خطبة الجمعة، مشيرًا إلى أنه تطرّق لموضوع مهم جدًا، وحذّر من عواقب ما يطلقه البعض من خفافيش الظلام، وليس بخفافيش الظلام فقط، فهؤلاء وغيرهم ممّن يتكلمون ويكتبون في الصحافة، بأن هنالك علمانيين يريدون تغيير هذه البلاد عن مسارها، ماضيًا إلى القول: لقد سبق في هذا خادم الحرمين الشريفين عندما زار القصيم قبل سنوات، حيث حذّر تحذيرًا كاملاً من التصنيفات، وبعض تصنيف المجتمع، وتصنف البعض بأنه خارج عن الدّين، وعن مصلحة الوطن، وهذا يصنفه أتباع الإخوان المسلمين (العلمانيين - التغريبيين الليبراليين)؛ لأنهم لا يريدون لأحد أن ينافسهم في احتكار الدّين، والدّين للجميع، ومصادره العظيمه القرآن والسنّة. ولا يوجد أحد يجهل طبيعة هذا الدّين، وفهم الإسلام ليس حكرًا على فئة معيّنة من الناس؛ لذلك فإن خطبة السديس كلام جيد ويُشكر عليه.

ويتابع آل زلفة بقوله: والمملكة تشهد منذ فترة قليلة خروج العلماء الحقيقيين عن صمتهم، وأن يسمّوا الأسماء، وأن يردّوا على مَن يفسر الإسلام بطريقته، أو من يصفّون حساباتهم مع مَن يختلف معهم في

فودة: المجتمع والأسرة مسؤولان عن ظهور ثقافة الرأي الواحد وإقصاء الآخر

د.آل زلفة: على المشايخ أن يسيروا فيما سار فيه الشيخ السديس ويقولوا الحقيقة

د.المزيني: خاتمة التصنيف شحناء وتنافر وعدم حل للقضايانا على الوجه الصحيح

د.القحطاني: مصدرها من الخارج وآفتها كبيرة على المجتمع

اسم المصدر: المدينة المنورة / الأربعاء

التاريـــخ: 04-11-2009 رقم العـدد: 16996 رقم الصفحة: 4 مسلسـل: 19 رقم القصاصة: 5

طريقة التفكير في هذه الحياة، والذين يدعون للتعليم الجدي يتهمونهم بالتغريب، والذي يسعى إلى كرامة الإنسان يتهمونه أنه خارج عن الدّين، فالشيخ السديس قبله وزير العدل، والكثير من المعتدلين يريدون أن يبيّنوا للناس ما هو الإسلام الحقيقي، ولا يخافون من الآخرين. ونحن الآن في مراجعة أن نقول لأبنائنا أن الإسلام ليس عدوًا للثقافة ولا للحضارة ولا للتسامح، فهؤلاء الذين يصنّفون الناس يعرفون في دواخل أنفسهم أن الإسلام دين الحوار، ويعرفون هذا جيدًا، وكانوا لا يستطيعون ذكره خوفًا من غضب أتباعهم.

ويختم آل زلفة بقوله: على المشايخ أن يسيروا فيما سار فيه الشيخ السديس، وكلمة لإخواني الصالحين، إذا أردتم روح الإسلام وحقيقته، فقولوا الحقيقة، ولا تتحدّثوا عن قضايا المرأة، وأنتم تجهلون معاناة المرأة، فهذه دعوة صادقة أن يكونوا أمناء لهذا الدّين، وأن يكونوا صادقين مع أبناء الوطن بفتح أبواب الحوار، واستخدام العقل.

بذرة الشقاق

وعلى ذات نهج آل زلفة يرى الدكتور حمزة المزيني أن خطبة الشيخ السديس كانت جامعة، ودليلاً على أننا وصلنا للنضج، وقد سبق وأن حذّر خادم الحرمين الشريفين من التصنيف، وأنه غير صحيح، وأن المواطنين يختلفون في آرائهم، ويختلفون في أفكارهم، ويوحدهم الوطن، وجميل أن تصل هذه الخطبة للجميع؛ فهي تدل على أننا نسير في الطريق الصحيح، وقد تعلّمنا من الماضي.

مختتمًا بقوله: إلى تصنيف المجتمع يؤدي إلى الشحناء والتنافر، وعدم حل قضايانا على الوجه الصحيح، ويكفي توجيه خادم الحرمين الشريفين، وهذه الخطبة، فالناس يعرفون أن التصنيف يزيد الأمور سوءًا وتعقيدًا، وكل الفئات الوطنية تعلم أن التصنيف خطر على الوحدة الوطنية، وهو مخالف للحقيقة.

وعلى خلاف المشاركين في هذا التحقيق لا يرى الكاتب عبدالله أبو السمح وجه غرابة في ظاهرة التقسيم، ويبيّن عن ذلك بوضوح بقوله: أنا لا أرى غرابة في تصنيف الناس حسب مواقفهم، فأي إنسان واع يعرف حقوقه لابد أن يصنّف إمّا مع هذا أو مع ذاك، وليس عيبًا أنْ يصنف الإنسان بأنه ليبرالي، أو أنه تغريبي، إذا نظرنا إلى المعنى الحرفي للكلمة، وليس إلى المقصود الهجائي والتنقيصي من الكلمة.. بمعنى إذا قلنا إن هذا الإنسان ليبرالي.. فماذا في ذلك؟ فهذا إنسان يحب التعبير بحرية عن آرائه ومواقفه، ويحب أن يكون مستقلاً.. وإذا قلت إن هذا الإنسان تغريبي فما العيب في ذلك؟ إذا كان إنسانًا ميّالاً إلى الحضارة المعاصرة، وما تقدمه للبشرية من خدمات رائعة غير مسبوقة في التاريخ البشري.. ولنكن غربيين.. وماذا في ذلك؟!

ويخلص أبو السمح إلى القول: هذا يعني أننا متطورون، ولكن إذا أخذناها بالمعنى السيئ الموجه أن هذا إمّا أنه إمّعة، أو أنه دخيل على المجتمع.. فالتصنيفات طبيعية حسب موقف الإنسان، وأنا بالتالي لا أرى غضاضة في ذلك، ولك أن تصنفني كيفما تشاء؛ ولكن بشرط ألا يكون هناك قصد سيئ من وراء هذا التصنيف، وأنا أكرر أنني لا أرى غضاضة في مثل هذه التصنيفات أبدًا.